

٣

تخط قريش!

﴿ حَمْدٌ ١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢ ﴾
﴿ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ آيَاتِهِ، قُرْءًا أَنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣ ﴾

[سورة فصلت]

﴿ سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾

[سورة الأعلى]

﴿ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرَى ٢٣ ﴾
﴿ يَقُولُ يَا بَلِيغِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ٢٤ ﴾

[سورة الفجر]

«..رهط من كبار قريش مجتمعون في حجر
الكعبة بادٍ عليهم الهم والحزن.. فيهم أبو
سفيان، وأبو جهل عمرو بن هشام، وعتبة بن
ربيعة.. يعلو بينهم الصخب..».

أبوجهل : (مهيجًا) فما ترون يا معشر قريش.. قد تجرأ محمد وزاد،
وأتى ما ترون من عيب دينكم وآهتكم وتسفيه عقولكم
وسب آبائكم وأجدادكم.. وها هو عمه أبو طالب، يمنعه
وينصره علينا؟!!

أبوسفيان : (محزونًا) وها قد أسلم بعض من أعز فتيان قريش.. وإني
لأخشى أن يتبعه عدد من رؤوس القوم فيعز ويمتنع، وتنتشر
دعوته بين القبائل!!!

أبوجهل : ولكن ما العمل يا أباسفيان.. إن عمه أبا طالب يمنعه
وينصره؟!!

أبوسفيان : (مستنكرًا) أنتركه إذا يسفه آهتنا وآباءنا ويبشر بهذا البدع
الذي أدخله علينا فشتت أمرنا؟!!

أبوجهل : (ثائرًا) واللات والعزى لأقارعه بسيفى وليكن ما يكون!!
«يعلو الصخب ويؤمن الحاضرون على كلامه»

عتبة بن ربيعة : (مناديًا) يا معشر قريش.. يا معشر قريش (تخفت
الأصوات تدريجيًا).. ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض
عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف
عنا؟!!

أبوجهل : أو تظن ذلك سيجدى يا أبا الوليد؟!!

عتبة : وما علينا أن نجرب يا أبا الحكم؟!!

أبوسفيان وأبوجهل : (بغير اقتناع) إذا قم إليه فكلمه يا أبا الوليد.. ولنر ما سيكون..
«ينهض عتبة ويبيم شطر محمد البادي على مرمى البصر
بناحية من أنحاء الكعبة.. يرتل بصوت غير مسموع..».

* * *

«محمد في مجلسه، يقترب منه عتبة.. يلقي وهو
يجلس بتحية الجاهلية، ولكن محمداً يبدو وكأنه لم
يسمع.. فيبادره عتبة..».

عتبة : (متودداً) يا ابن أخي.. إنك منا حيث قد علمت من المنزلة
في العشيرة والمكان في النسب.. وإنك قد أتيت قومك
بأمر عظيم.. فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم
وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت من مضي من آباءهم..
فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل
منا بعضها..

محمد : قل يا أبا الوليد.. أسمع!
عتبة : (وقد ازداد تودداً وأملاً) يا ابن أخي.. إن كنت إنما تريد
بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا
حتى تكون أكثرنا مالا.. وإن كنت إنما تريد به شرفاً
سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك.. وإن كنت إنما
تريد به ملكاً ملكناك علينا.. وإن كان هذا الوحي الذي
يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب
وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه.

محمد : (في هدوء) أو قد فرغت يا أبا الوليد؟
عتبة : نعم..

محمد : فاسمع منى ..

عتبة : أفعل :

محمد : (يتلو) ﴿ حَمْرٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْتَةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۝٦ وَالَّذِينَ لِلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ﴾ [سورة فصلت: الآيات: ١ - ٨].

«يبدو عتبة مذهولاً.. والنبي مستمر في

التلاوة، وعتبة ينصت كالحالم.. يعتدل عتبة

في جلسته، ويلقي يديه خلف ظهره.. ساكن

كأن على رأسه الطير.. يرقب النبي مأخوذاً وهو

يسجد عند موضع بلغه في التلاوة..»

عتبة : (حالمًا كالمخاطب نفسه) ألا ما أحلى هذا الكلام!!

محمد : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك!!..

عتبة : (مخاطبًا نفسه في ذهول) نعم نعم!!!

«ينهض عتبة وينصرف مبهوراً..»

«فى مجلس طواغيت قريش يلحق بهم عتبة».

أبوجهل

: (وهو يرقب عتبة قادمًا) ها هو عتبة قادم يا قوم..
(مستأنفًا) واللات والعزى لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه
الذى ذهب به!

«عتبة يجلس صامتًا كأن على رأسه الطير..

لاينبس بينت شفة..».

أبو سفيان

: (سائلًا بقلق) ما وراءك يا أبا الوليد؟!

عتبة

: (مرددًا فى دهشة وذهول) ورائى؟!!

أبوجهل

: تكلم يا رجل.. ماذا دهاك؟!!!

عتبة

: (فى ذهول) ورائى.. ورائى أنى سمعت قولاً ما سمعت

مثله قط، واللات ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة..
يا معشر قريش، أطيعونى واجعلوها بى، واخلوا بين هذا
الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكون لقوله الذى
سمعت منه نبأ عظيم..

أبوجهل

: (ساخرًا) سحرك واللات يا أبا الوليد بلسانه!

عتبة

: هذا رأيى، فاصنعوا ما بدا لكم!

«ينصرف عتبة لا يلوى على شىء..».

* * *

«بعد أيام، لفيف من قريش، عند الكعبة..

فيهم أبو سفيان، وأبوجهل.. وآخرون».

أبوسفيان

: (مستنكرًا) أما بلغك يا أبا الحكم ما بلغنا من قول الوليد
ابن المغيرة؟

أبوجهل : (محزونًا) قد مسه والله ما مس عتبة بن ربيعة.. ما إن سمع
هو الآخر قول محمد حتى افتتن به!
قرشى : (متداخلاً) بل وقال: ما يقول هذا بشر..
قرشى آخر : (مرددًا في دهشة) ما يقول هذا بشر!!!
أبوسفیان : صبا الوليد واللات والعزى.. صبا الوليد.. وما أخشى إلا أن
تصبا قريش كلها.. (في كمد) لتصبا قريش كلها!!
أبوجهل : (مواسيًا) يا معشر قريش.. لا عليكم.. أنا أكفيكموه.. أنا
أكفيكموه..

«يمضى أبوجهل لا يلوى على شيء..».

* * *

«فى حى من أحياء مكة.. الوليد بن المغيرة
فى لفيف من بنى مخزوم.. وفيهم أبوجهل..
يبادر الوليد..».

أبوجهل : (مبتدراً) يا عم.. إنك سيد فينا، لا ينازعك منازع،
ولا يطاولك مطاول، وقد بلغ قريشاً أنك قلت فى محمد
ما يكرهون.. (متردداً) وقومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً
ليعطوكه! فلو أنك أتيت محمداً لتعرض لنا قبله!!
الوليد : (مقاطعاً فى غضب) لقد علمت قريش أننى أكثرها مالاً!
أبوجهل : فقل إذن فى محمد قولاً يبلغ قومك أنك منكر كاره له..
فقد أفرعهم ما قلته من أن كلامه ما يقوله بشر!!
الوليد : (متسائلاً فى إنكار) وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل
أعلم بالشعر ولا برجزه وقصيده منى، وبأشعار الجن!!

والله ما يشبهه الذى يقول شيئاً من هذا!! ووالله إن لقوله
لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله
لمغدق.. وإنه يعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته!!
: (منكرًا) ولكن قومك لا يرضيهم عنك حتى تقول فيه غير
هذا.. فهلا تحدثت إلى قومك بما يخفف عنهم؟

أبوجهل

: فدعنى يا أبا الحكم حتى أفكر...

الوليد

«ينهض أبوجهل فينصرف... والوليد مطرق

يفكر...».

* * *

«جمهرة من قريش عند الكعبة.. ينضم إليهم
الوليد بن المغيرة وأبو جهل.. ما كاد الوليد
ينضم إليهم حتى يبتدروهم..»

: (للقرشيين) يا معشر قريش.. تقولون فى محمد «مجنون»
(يهيمون - فيستأنف مقاطعاً) فهل رأيتموه يهوس؟!

الوليد

: (فى استسلام) اللهم لا!!

قرشى

: وتزعمون أنه كاهن.. فهل رأيتموه يتكهن قط؟!

الوليد

: (فى استسلام) اللهم لا!!

قرشى

: وتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟!

الوليد

: (فى استسلام وضييق ونفاد صبر) اللهم لا!! (يستدرك

قرشى

بعضهم) ولكن.. فماذا نقول؟!!!

: (فجأة بعد برهة) إذن.. فهو.. ساحر.. أجل ساحر.. ألم
يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه.. أجل ساحر.. هذا
سحر يؤثر.. يؤثر عن غيره..

الوليد

«يتصايح القرشيون فرحًا بما هداهم إليه شيطانهم».

* * *

«محمد في خلوته وتهجده.. يتنزل عليه

الروح الأمين.. يوحى إليه».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ ذَرْفِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝۱۱ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝۱۲ وَبَيْنَ سُهُودًا ۝۱۳ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝۱۴ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝۱۵ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۝۱۶ سَاءَ هُفُهُ ۝۱۷ صَعُودًا ۝۱۸ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝۱۹ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۲۰ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝۲۱ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝۲۲ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝۲۳ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۝۲۴ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝۲۵ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝۲۶ ﴾ [سورة المدثر: الآيات: ۱۱ - ۲۶].

(يرتفع الوحي)

* * *

«مكة.. في السنوات القليلة الأولى للمبعث.. الدعوة لا تزال في مهدها.. لم يسلم إلا القلة القليلة التي تختلف إلى النبي في دار الأرقم بن أبي الأرقم.. أما قريش فلا تزال على صدها.. لم تستقبل دعوة محمد عليه السلام وإنذاره لعشيرته الأقربين إلا بالسخرية والإنكار والنكير.. وإعنات من أسلم من الفقراء والمستضعفين.. لا تزال الكثرة الغالبة في مكة وما حولها على كفرها.. غارقة في دياجير الظلام والشرك، تحاول أن تطفئ بظلام شركها هالة النور التي يرعاها النبي وصحابته

الأوائل.. تمضى قريش فى عنادها.. يختلفون إلى الكعبة وأوثانها.. يتعبدون إليها، ويبذلون القرابين للأصنام، هبل، واللات، والعزى، ومناة الثالثة الأخرى... النبى عليه السلام يدرك ويحس عظم وثقل مهمته وسط هذا الظلام الضارب فى كل مكان، والشرك الذى أصم العقول والقلوب والآذان!!... محمد فى إحساسه بثقل مهمته، يخشى أن ينسى كلمة مما يتنزل عليه من قرآن ربه.. لا يكاد جبريل - يوحى إليه شيئاً، ولعله لم يفرغ بعد من آخر الآية، حتى يتكلم النبى عليه السلام بأولها، مخافة أن ينسى لفظاً منها.. هنالك يبشره رب العالمين، بأنه سبحانه وتعالى قد كفاه.. فلا ينسى بقدرته سبحانه ومشيتته لفظاً مما يوحيه إليه، ولا عملاً مما كلفه به.. وإذ بمحمد صلى الله عليه وسلم فى خلوته وتهجده، تختلج فى صدره، وتموج فى وجدانه، كل هذه الأفكار والهموم، ويتدبر كيف يبلغ رسالة ربه.. يتنزل عليه الروح الأمين بكلمات رب العالمين».

جبريل

: (يتلو على محمد).. ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝ (٥) سُنُقِرْتِكَ فَلَآ تُنصَى ۝ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝ (٧) وَيَبْسُرُكَ لِلْإِسْرَى ۝ (٨) فَذَكَرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۝ (٩) سَيَذَكِّرْكَ مِنْ يُحْشَى ۝ (١٠) وَيُنَجِّنَهَا مِنَ الْآسَفَى ۝ (١١) الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ۝ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝ (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۝ (١٤)﴾

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ
 خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ
 وَمُوسَى ﴿١٩﴾ ﴿ [سورة الأعلى: الآيات: ١ - ١٩].
 (يرتفع الوحي)

* * *

«محمد صلى الله عليه وسلم فى لفيق من
 صحابته الأوائل.. فيهم على بن أبى طالب،
 وآخرون.. يبلغهم محمد ما نزل عليه من كلمات
 ربه.. ولكنهم يلحظون أنه حرص قبل أن يقرأ
 عليهم سورة الأعلى أن يقول:

أولاً: (سبحان ربي الأعلى).. ينظر الصحابة
 إلى رسول الله متسائلين..».

محمد : بهذا أمرت.. (مستأنفاً) اجعلوها فى سجودكم.. (مكرراً)
 اجعلوها فى سجودكم..

* * *

«مكة وقد انصرم بعض الوقت.. الكفار
 والطواغيت على حالهم، يزدادون عناداً وعتوًّا
 وتجبراً.. لا يدعون فرصة للتنكيل بالمستضعفين
 من المسلمين إلاّ انتهزوها.. لا يردعهم عن غيهم
 رادع.. أبوجهل، وأمّية بن خلف، وعتبة بن
 ربيعة، وأبو حذيفة بن المغيرة.. يتباهون بما
 لديهم من ثروة وجاه.. يتجبرون على الضعفاء

الْمَالِ حَبًا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا
 ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَءَ يَوْمَئِذٍ
 بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَى لَهُ الذِّكْرَى
 ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ
 أَحَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ ثَوَابَهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ [سورة الفجر: الآيات :
 ١ - ٢٦].

(يرتفع الوحي)

«محمد بعد ارتفاع الوحي.. يتغير لونه ويبدو الكدر في وجهه.. يدخل عليه بعض أصحابه فيلاحظون ما به فيشتد الأمر عليهم إشفاقاً عليه.. بعضهم يسارع إلى علي بن أبي طالب يلتمسونه...».

بعض الصحابة : (لعلي بن أبي طالب) يا علي ، قد نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فما رأيناه في كدر كما رأيناه بعدها.. وتغير لونه حتى خشينا عليه.. فهلا قدمت إليه لتكلمه.. «يسرع علي إلى محمد عليه السلام، فيحتضنه من خلفه ، ويقبل ما بين عاتقيه».

علي : (للنبي عليه السلام) يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، ما الذي حدث اليوم ، وما الذي غيرك؟!!

محمد : (لعلي والملتفين حوله من الصحابة) أقرأني جبريل : ﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا

﴿٢٢﴾ وَجَاءَ يَوْمِيذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمِيذٍ يَنْذَكَرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ
الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ [سورة الفجر: الآيات: ٢١-٢٣].

« ينظر بعض الصحابة لبعض لا يخفون
دهشتهم من رحمة النبي التي وسعت حتى
الطواغيت.. أملا منه أن يسلموا ، وإشفاقاً عليهم
من نذير الآيات!!!! »

« بعض الصحابة يرددون بعض ما تنزل من
الآيات ورواه لهم النبي ، فيتلون... ».

بعض الصحابة : (يتلون مرددين مما سمعوه) ﴿يَوْمِيذٍ يَنْذَكَرُ الْإِنْسَانُ
وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلِيَّتِي قَدَّمْتُ لِجِائِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمِيذٍ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة
الفجر: الآيات: ٢٣ - ٢٦].

* * *